بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية السودان

جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم

مجلة كلية اللغة العربية

مجلة علمية ـ مُحكمة ـ نصف سنوية السنة الأولى ـ العدد الأول

تصدر عن كلية اللغة العربية ـ جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم
ربيع الأول ١٤٣٥هـ - يناير ٢٠١٤م

الحكمة في شعر الشافعي أغراضها ودلالاتها

د. محمد الفاتح زين العابدين أحمد*

ملخص البحث

يتلخص هذا البحث في إبراز جوهر الحكمة عن طريق الدراسة الدلالية وبما يتطلبه الدرس اللغوي قديماً وحديثاً في بحثه عن المعنى ، ودراسة العربية بمستوياتها المعروفة من حيث الأصوات ، والأبنية ، والتراكيب ، والأساليب وربط ذلك باللغة عن عالم ، وفقيه ، وأديب صاغ تجربته الإنسانية في قوالب لغوية موجزة ذات معان واسعة سارت بين الناس وانتشرت لأن الإنسان يجد فيها الكثير مما يقابلًه في واقع الحياة ، ويلامس دواخله ويجد في ذلك الراحة والسلوى.

*أستاذ علم اللغة المشارك ، كلية التربية ، جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه والتابعين ، قال تعالى : {يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ }[1]

أما بعد

فلقد تميزت الحكمة في الشعر العربي بتأثيرها في نفوس السامعين وذلك لسهولتها وجزالتها وموقعها في النفس ومن هنا جاء البحث بعنوان (الحكمة في شعر الشافعي أغراضها ودلالتها) لأن حكمة الإمام الشافعي شربت من أصول الفقه والأدب فهي غنية وزاخرة بالتجربة الإنسانية والقيم الأخلاقية الفاضلة فهي بسيطة في صياغتها وقوالبها اللغوية وواسعة في مضامينها ومعانيها وهذا ما يتضح من حلال الدراسة التحليلية الدلالية

حيث أن حكمة الشافعي تهتم بالقضايا الإنسانية ، فجاءت الألفاظ بها على قدر المعاني ، والدلالات فيها تنطلق في خيال رحيب وأفق بعيد في تعايشها مع المجتمع

ولقد ظهرت الدلالة واضحة في إثباتها لجملة من المعاني وهي عبارة عن نصائح وتوجيها في قوالب لغوية سهلة وجزلة تسير بين الناس وتبحر في همومهم لترسوا بين حناياهم لتحمل الخير والسعادة لهم .

فلقد كان العرب يلتمسون الحكمة في أشعارهم ، فترد في ثنايا قصائدهم وسيتحسنونها[2] ... ويتأسون بها ... ولم تكن عنايتهم بالحكمة من غير سبب ، فقد ترد الحكمة أحيانا لإثبات بعض المفاهيم ، فها هو زهير بن أبي سلمى يقول :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وإن يرق أسباب السماء بسلم

إلى أن يصل إلى قوله :

لسان الفتي نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم[3]

وقديما قالوا إن المرء لسان وجنان) .. فأخذ زهير حكمته وفق هذا المعنى الذي ذكرناه ، وقد تكون الحكمة لإثبات حقيقة ما ، انظر إلى قول أبي الطيب المتنبي ، في عجز بيته ، (وتأتي الطباع على الناقل) ، فلقد أخذ

١ سورة البقرة الآية (٢٦٩) ج ٣

٢ جمهرة أشعار العرب ص ١٤٦

٣ زهير بن أبي سلمى – الديوان ص ٥٦

أبو الطيب هذه الحكمة من المفهوم العام أن الطبيعة تغلب التطبع[٤] ، وقد تكون الحكمة خلاصة تجربة كما نرى عند أبي تمام.

في رثاء محمد بن حميد الطوسي :

عليك سلام الله وقفا فإنني رأيت الكريم الحر ليس له عمر[٥]

وترد الحكمة لتبعث في النفس الأمل وتقوي من العزائم ... وتعلي من الهمم.. كما جاء في بيتي أبي الطيب المتبني :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها وتعظم في عين العظيم العظائم[٦]

أولا : أهمية البحث :

تبرز أهمية البحث في اقتطاف ثمار الحكمة من عالم وفقيه صقلته التجارب الإنسانية وكان رائدا في حكمته الشعرية فصيحا في لغته الأدبية.

ثانيا الأهداف :

١. الربط بين النصوص الأدبية والعناصر اللغوية في الدراسات العربية
٢. دراسة وتحليل حكمة الشافعي الشعرية والاستفادة من تجربته الإنسانية
٣. دراسة الحكمة وأغراضها لاستخلاص القيم الأدبية وبيانها

ثالثا : مشكلة البحث :

لفت الانتباه لمقام الشافعي في صياغته اللغوية وبراعته الأدبية والشعرية في حكمته وإتقانه للغة العربية فضلا عن ذلك فهو إمام من أئمة المذاهب الفقهية .

رابعا : منهج البحث :

اتبع هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي اللغوي في إبرازه للمعاني والدلالات في حكمة الشافعي الشعرية .

الصعوبات التي واجهت البحث :

١. قلة الدراسات التي يكون فيها الربط بين اللغة والأدب في الدراسات العربية

٤ ديوان المتنبي شرح التبيان – أبي البقاء العبكري ج١ص ٢٢ /
٥ ديوان أبي تمام شرح الخطيب التبريزي ، ٤/١٠٠
٦ ديوان المتنبي ص ٢٧٠

٢. دراسة وتحليل نصوص الأعلام أمثال الشافعي تحتاج إلى الدقة والأناة

٣. صعوبة الوقوف على ظلال الكلمات بصحبة الخيال الواسع والفكر البارع واللغة الراقية .

خامسا : هيكل البحث :

يتكون هذا البحث من ثلاثة مباحث جاءت كالآتي :

المبحث الأول : الشافعي والعوامل المؤثرة في حياته وآدابه

المبحث الثاني : معنى الحكمة وأغراضها في شعره

المبحث الثالث : دلالة الحكمة في شعره

الخاتمة

المصادر والمراجع

المبحث الأول

الشافعي والعوامل المؤثرة في حياته وآدابه

الشافعي : هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن عثمان بن شافع عالم قريش وفخرها وإمام الشريعة وحبرها وهو من ولد عبد المطلب ولد بمدينة غزة سنة ١٥٠ هـ وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين وأولع بالنحو والشعر واللغة ورحل إلى البادية في تطلبها ولم يناهز سن البلوغ حتى حفظ منها شيئا كثيرا ثم تفقه وحفظ موطأ مالك وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة (٧).

جمعه لشتى العلوم :

حدّث الربيع بن سليمان أنه قال : ((كان الشافعي – رحمه الله تعالى – يجلس في حلقته إذا صلى الصبح فيجيئه أهل القرآن فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فسألوه تفسيره ومعانيه ، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر ، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا وجاء أهل العربية)) (٨)

والمستخلص من هذا الكلام المتقدم أن الشافعي كان يمتلك أصول المعرفة اللغوية والتي تبدأ بأعلى قمة لغوية ألا وهي القرآن بما فيه من الفصاحة والبيان .

فيدارس الناس في حلقاتهم القرآن الكريم تلاوة وتفسيرا وفهما للمعاني .. وكل هذه المعاني تخرج من مخزونه اللغوي ومكوناته الأدبية ، ثم إذا طلعت الشمس دلف إلى الأصل الثاني من أصول المعرفة ... حينما تكتمل حلقة الحديث فيدارس الناس في علوم الحديث ، بشرح وتوضيح ودراية وعلم أخذا باللغة مستعملها وخاصها وعامها وغريبها ... فإذا ما ارتفع الضحى ، جاء أهل العربية ليتحلقون حول الإمام الشافعي وهنا ينتهي العالم اللغوي بما بدأ به .. ألا وهي اللغة العربية التي هي مفتاح العلوم ... وهكذا يصل العالم الجليل إلى الأصل الثالث من أصول المعرفة اللغوية وهي العربية بنثرها وشعرها الموسومة بالحكمة. ولقد صدق / محمد بن الحكم حينما قال : ((ما رأيت مثل الشافعي كان أصحاب الحديث يجيئون إليه ويعرضون عليه غوامض علم الحديث وكان يوقفهم على أسرار لم يقفوا عليها فيقومون

٧ جواهر الأدب / احمد الهاشمي / ص ٤٣٩ : ٢-١

٨ ديوان الشافعي / ص ١٠

وهم متعجبون منه ، وأصحاب الفقه الموافقون والمخالفون لا يقومون إلا وهم مذعنون له ، وأصحاب الأدب يعرضون عليه الشعر فيبين لهم معانيه ، وكان يحفظ عشرة آلاف بيت لهُذَيل إعرابها ومعانيها وكان من أعرف الناس بالتواريخ وكان ملاك أمره إخلاص العمل لله تعالى [٩] .

وحدّث أبو بكر بن إدريس عن الحميدي قال : خرجت مع الشافعي إلى مصر وكان هو ساكنا في العلو ونحن في الوسط فربما خرجت في بعض الليل فأرى المصباح فأصيح بالغلام فيسمع صوتي فيقول : بحقي عليه أرق فارقي ، فإذا بقرطاس ودوات فأقول : مه يا عبد الله ، فيقول تفكرت في معنى حديث أو في مسألة – فخفت أن يذهب علي ، فأمرت بالمصباح فكتبته[١٠]

ومن جانب آخر فلقد كان الشافعي متواضعا – فإذا رأى الحق أذعن وخضع ... يقول : ما ناظرت أحدا فأحببت أن يخطئ وما في قلبي من علم إلا وددت أنه عند كل أحد ولا ينسب إلى وفي رواية أخرى ووددت أن كل علم تعلمه الناس أوجر عليه ولا يحمدوني فهو لا ينتصر لذاته بل كان صادقا ومخلصا في أقواله [١١] وأفعاله ولقد تحدث عنه محمد بن الفضل البزار قال سمعت أبي يقول حججت مع احمد بن حنبل ونزلت معه في مكان واحد في دار واحد يعني «مكة» وخرج أبو عبيد الله احمد بن حنبل باكرا ، وخرجت أنا بعده فلما صليت الصبح ، زرت المسجد ، فجئت إلى مجلس سفيان بن عيينة وكنت أدور مجلساً مجلسا طلباً لأبي عبد الله ، أحمد بن حنبل حتى وجدت أحمد بن حنبل عنده شاب أعرابي عليه ثياب مصبوغة فزاحمته حتى قعدت عند أحمد بن حنبل فقلت يا أبا عبد الله تركت بن عيينة وعنده من الزهري وعمرو بن دينار وزياد بن علاقة والتابعين ما الله به عليم ؟ فقال لي أسكت فإن فاتك حديث بعلو تجده بنزول لا يضرك في دينك ولا عقلك ، وإن فاتك أمر هذا الفتى ، أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة ما رأيت أحدا أفقه في كتاب الله من هذا الفتى القرشي ، قلت من هذا ؟ قال محمد بن إدريس الشافعي .

أما عن ورعه وعبادته فلقد كان الشافعي رحمه الله – يختم القرآن في شهر

٩ ديوان الشافعي / ص ١١
١٠ المرجع السابق ص ١٠
١١ ديوان الشافعي / ص ١٠

رمضان ستين مرة (وحدّث الربيع بن سليمان قال : قال الشافعي ما شبعت منذ ست عشرة سنة إلا شبعة طرحتها لأن الشبع يثقل البدن ، ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة) [١٢]

هذه جملة من السجايا الطيبة والصفات الحميدة والقيم الفاضلة والأخلاق النبيلة التي اجتمعت في شخص الإمام الشافعي وامتزجت بعلومه وآدابه ... فكان نتاج ذلك الحكمة المنظومة في ثنايا أبياته نسيجا لكل ذلك الأدب الرفيع الذي هو بمثابة التجربة الإنسانية التي شربت من معين القرآن ومن فيض البيان النبوي ومن آداب العرب .

أدب الشافعي :

فالإمام الشافعي – رحمه الله – استقى كلمة الأدب بمعناها الذي ورد في كتاب الله بمعنى القول البليغ .. الذي له وقعه في النفس البشرية قال تعالى : {وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً }[١٣] والقول البليغ ... هنا هو الأدب لأن الأدب لا يكون مؤثراً في نفوس السامعين إلا إذا كان فصيحا بليغا ... لذا فالأدب الذي أخذه الشافعي كان يستمد أصوله من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وعيون الشعر العربي ذلك الشعر الذي يعني فيه بجانب الصدق الأخلاق والفني – ونعني بذلك الأدب الملتزم الذي يكون حرا طليقا ومتحررا ومعاصرا لكنه ملتزما في أحكامه بالقرآن الكريم وبالمنهج القويم ، إذن فرسالة الأديب في المجتمع الإسلامي مستمدة في الواقع من كتاب الله عز وجل .. وكلمة الشعراء وردت في كتاب الله وفي سورة الشعراء حينما نتلو قوله تعالى : {وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤)أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ }(٢٢٧) [١٤] .

فليس الشعر هنا مذموما على إطلاقه وإنما المذموم هو شعر أولئك الذين يزينون القبيح ويقبحون الحسن أمام الطائفة المستثناة فهي طائفة الذين قالوا خيرا وفعلوا خيرا ... فهم أصحاب الحكمة والخير والفضيلة والتي تعتمد في مضمونها على جانبين اثنين :

١٢ ديوان الشافعي / ص١١
١٣ سورة النساء الآية ٦٣ ج٥
١٤ سورة الشعراء الآية (٢٢٤- ٢٢٥-٢٢٦- ٢٢٧) ج ١٩

أولهما :

عنصر الصدق الأخلاقي المتمثل في الحكمة ... وثانيهما عنصر الصدق الفني المتمثل في المفردة الجزلة الفصيحة التي لها أثر في الوجدان ، وهذه عين الذي وجدناه عند بشر بن المعتمر في صحيفته حين يتكلم عن المعاني والمعنى ليس بشرف بأن يكون من المعاني الخاصة وكذلك ليس يتضح بأن يكون من معاني العامة وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال) (١٥)

فكأن المعاني عند بِشْر كما عند الجاحظ ويجب أن تكون صائبة لفظا كريما فليلتمس له معنى كريما – وهذا ما يتطابق مع شعر الحكمة أنظر إلى قول الشافعي :

فلولا العلم ما سعدت رجالٌ ولا عرف الحلال ولا الحرامُ (١٦)

ففي هذا البيت نتلمس اللفظ الكريم ... في جزالته ، وسهولته ووضوحه وحسن صياغته ، والمعنى الكريم في دلالته ، فالعلم نور والعلم هداية والعلم سمو ورفعة ففي هذا البيت يتجسد عنصر الصدق الأخلاقي المتمثل في المعنى وعنصر الصدق الفني المتمثل في اللفظ .. وهكذا أدب الشافعي بين هذين العنصرين يرسي قيم العلم والفضيلة .

ومن ناحية ثانية لقد تحدث عن فصاحته وبلاغته كثير من العلماء الذين شهدوا له بذلك .. ومن أؤلئك عبد الملك بن هشام النحوي صاحب المغازي الذي قال موجزا (الشافعي ممن تؤخذ عنه اللغة) (١٧)

وقال عنه أبو عبيدة القاسم بن بلال (كان الشافعي من أهل اللغة) (١٨)

وقال عنه الربيع (كان الشافعي عربي النفس عربي اللسان) (١٩)

وقال أحمد بن شريح ما رأيت أحدا أفوه ولا أنطق من الشافعي (٢٠)

وحدث أبو تميم الاسترابازي سمعت الربيع يقول ((لو رأيت الشافعي وحسن بيانه وفصاحته لعجبت منه ولو أنه ألف هذه الكتب على عربيته التي كان يتكلم بها في المناظرة لم يقدر على قراءة كتبه أحد لفصاحته

١٥ البيان والتبيين / الجاحظ ج١ ص ٢٠
١٦ ديوان الشافعي / ص١٢
١٧ ديوان الشافعي / ص١٢
١٨ ديوان الشافعي / ص١١
١٩ ديوان الشافعي / ص١١
٢٠ ديوان الشافعي / ص١١

وغرائب ألفاظه . غير أنه كان في تأليفه يجتهد في أن يوضح للعوام)) (٢١)

وقال الإمام احمد ما مس أحد محبرة ولا قلما إلا وللشافعي في عنقه منه .
وحدّث الربيع : كنا جلوسا في حلقة الشافعي بعد موته بيسير فوقف علينا أعرابي وسلم ، ثم قال : أين قمر هذه الحلقة وشمسها ؟ فقلت توفي – (رحمه الله) فبكى بكاءً شديداً ثم قال رحمه الله تعالى وغفر له فلقد ((كان يفتح ببيانه مغلق الحجة ويسد في وجه خصمه واضح المحجة ويغسل من العار وجوها مسودة ويسع بالرأي أبوابا مسندة ثم انصرف)) (٢٢)
فبامتلاك هذه الأدوات اللغوية تستبان الحجج ويجلي الشك والريب وتفتح أبواب المعرفة وتتار ظلمات الجهل وتتسع الأفق وتستخلص الآداب والقيم من النصوص الشعرية وتظهر الحكمة جلية واضحة ليأخذ بها العوام والخواص ويكون منها النفع والعلم وتعم الفائدة .. ولقد صدق الإمام الشافعي حينما قال :

وذات الفتى والله بالعلم والتقى إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته

٢١ ديوان الشافعي / ص١١
٢٢ ديوان الشافعي / ص١١

المبحث الثاني

معنى الحكمة أعراضها وفوائدها في شعره

أولا : معنى الحكمة :

الحكمة من العلم والحكيم العالم ، وصاحب الحكمة الحكيم أيضا المتقن للأمور وقد حكم من باب ظرف أي صار حكيما وأحكمه فستحكم أي صار مُحكماً)

إن الحكمة هي ضالة المؤمن يبحث عنها دائما ويلوذ إليها من وهج الحياة المستطير فيغسل بها الأمة وأتعابه ويسلي بها نفسه ويخفف بها همومه فالحياة كدٌ وجهدٌ وعملٌ ومعاملةٌ وتعاملٌ بين الناس ..

فالإنسان بطبيعته يميل إلى الكلام الطيب المليء بالقيم المصقول بالتجربة الإنسانية والناس في سيرهم يتبادلون مع غيرهم خبراتهم وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم .. فعامة الناس تستوقفهم العبارة الجزلة وتأخذ بأسماعهم – فهم ما كانوا يعنون بالقراءة والكتابة قدر عنايتهم بالسماع إذن فهم لم يكونوا ((أهل كتابة وقراءة بل هم أهل سماع وإنشاد)) (٢٣) . وأهل تذوق ليدركوا من خلال ذلك الدلالة والمعنى ((وعلم الدلالة هو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى)) (٢٤) .

ومن ذلك تصبح الحكمة يتمثل بها وتنشد وتسير بين الناس انظر إلى قول الشافعي

إني رأيت وقوف الماء يفسده ** إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب (٢٥)

وهكذا يكون سريان الحكمة وسيرها بين الناس في حسن ألفاظها وسهولتها وفصاحتها ، ورقتها وجودة معانيها ... وهذه الحكمة حينما يسمعها الإنسان تحثه على السعي والجد والاجتهاد إذن حاسة السمع جزء أصيل من أجزاء الجهاز النطقي عند الإنسان ... فكما يقول بن خلدون (السمع أبو الملكات الإنسانية)) (٢٦) .

ومن هنا نخلص إلى أن الحكمة مثلما تكون للخواص تكون للعوام لطالما

---

٢٣ أنس د/ إبراهيم / دلالة الألفاظ ط٣ / مكتبة الأنجلو المصرية / ١٩٧٥م/ ص ١٩٨

٢٤ احمد مختار عمر / علم الدلالة / ١٩٩٣م – ص١١

٢٥ ديوان الشافعي / ص ٢٦

٢٦ المقدمة لابن خلدون ص ٤١

هي تعتمد على السماع ...
والحكمة وردت بمعان كثيرة فقد قيل أن الحكمة (هي القرآن) وقيل الحكمة هي السنة أو النبوة وقيل الحكمة هي العلم ... قال تعالى : {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ }[٢٧] ... ففي هذه الآية كلمة حكمة هنا بمعنى العلم . فعن قتادة قال خيّر الله لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة على النبوة فلقنه الله الحكمة فصار ينطق بها) [٢٨]
وأيضا الحكمة بمعنى الفهم والتعبير الصائب أي على حسب ما يقتضيه السامع في شيء من الإيجاز .. والحكمة معناها أن يطابق القول العمل أو إصابة القول الفعل.
ويقال أن الحكمة أنزلت على ثلاثة أعضاء في الجسد (قلوب اليونان ، وألسنة العرب ، وأيدي الصين) . وذلك لاختصاص اليونان بمزية التبحر في علم الأشياء ومعرفة القوانين وإتقان البراهين وأهل الصين بمزية علم الصنائع العجيبة وإتقان الأعمال الغريبة والعرب بمزية المعاني العجيبة والأمثال والمواعظ والأشعار في أشعارهم وخطبهم)) [٢٩]
أما الإمام الغزالي – رحمه الله – فرد الحكمة إلى العقل قال في كتاب تهذيب النفس من الإحياء (أمهات الأخلاق وأصولها أربعة (الحكمة – الشجاعة – العفة – العدل) قالوا ونعني بالحكمة حالا للنفس بها تدرك الصواب من الخطأ في الأفعال الاختيارية جميعها) [٣٠]
فالحكمة في سرعتها تجري مجرى المثل يتناقلها الناس من مكان لآخر وفق قاعدة لكل مقام مقال ... والفرق بين الحكمة والمثل أن الهدف من الحكمة التنبيه والإعلام والوعظ والإرشاد والتوجيه والنصح بطريق غير مباشر أما الهدف من المثل فهو الاحتجاج[٣١] .
فقد يورده القائل زاجرا أو معتبطا او مشمئزا او متحسرا على شئ فاته .

---

٢٧ سورة لقمان الآية ١٢
٢٨ تفسير بن كثير ص ١٣٨
٢٩ زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ج١/ص٢١
٣٠ المرجع نفسه ج١ ص ٢١
٣١ إحياء علوم الدين / للغزالي / ج٣ ص ١٥

ومن هنا يتضح لنا أن الحكمة هي التعبير الصائب على حسب ما يقتضيه السامع في شئ من البساطة والوضوح – أي هي الكلام على العلم والموجه إلى الصواب والسداد في القول والعمل .

ثانياً : أغراض وفوائد الحكمة في شعره :

لا شك أن الحكمة مثلما لها أغراض لها فوائد ومعاني ومنافع . فلقد أثنى الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله وفي كتابه العزيز عليها .. حيث قال : {يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ }(٣٢) وقال تعالى أيضاً : {وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ }(٣٣) فالحكمة هي إذاً غذاء الروح فهي أكبر الحاجات وأعظم المطلوبات .. والحكمة بتعريفاتها المتنوعة من عدل وعلم وحلم عين الفائدة والفضل .. وكل هذا يدخل في المعنى العام للحكمة حيث الإصابة في القول والفعل ، بالحكمة يتدارك الناس ما هم فيه لينطلقوا إلى آفاق أرحب ففي ظلال كلماتها يجدون راحتهم لأنهم يعيشون مع الحقيقة والتي هي الحياة الفاضلة التي يسمون إليها ، ويتطلعون إلى الأفضل والأحسن . فالحكمة هي بمثابة الرمية من غير رامي نجدها من غير أن نسعى إليها وتكون بلا إذن أو سابق موعد ولا يربطها زمان ومكان ففي ثنايا النصوص نستوقف أحيانا متذوقين لبيت أو أبيات تمس في دواخلنا وتطرق عليها طرقا خفيفا لتتبهنا أحيانا أو لتعزز موقفا معينا عندنا فتكون الاستزادة في الفضائل وجلائل الأعمال . أو لتكفينا أحيانا النصائح المباشرة التي تملها النفس ، ففي باطنها العبارة والإشارة التي ترد من قبيل الإنسان فيجد فيها سلواه ويحقق فيها غرضه ومبتغاه من الفضائل والصفات الحميدة والخصال الكريمة يقول أبو تمام في ذلك :

فلم أجد الأخلاق إلا تخلقا ** ولم أجد الأفضال إلا تفضلا(٣٤)

والحكمة فيها الراحة والسلوى لكثير مما يعكر صفو المجتمعات الإنسانية من حسد وجفوة وتجبر وتكبر وتسلط وغفلة فهي دواء لكل داء انظر إلى قول الشافعي :

---

٣٢ سورة البقرة الآية ٢٦٩

٣٣ سورة ص الآية ٢٠

٣٤ ديوان أبي تمام ص ٦١

لسانك لا تذكر به عورة إمرئ فكل عورات وللناس ألسن
وعينك إن أبدت إليك معايبا فدعها وقل يا عين للناس أعينُ

ومن هنا يتضح لنا أن جملة فوائد الحكمة تتلخص في تهذيب النفس وإصلاحها وذلك بتخير أنجح السبل لكف الأذى وإحقاق الحق بتوخي الحكمة قولا وفعلا وبما يتناسب مع الموقف المعين لكي يتحقق المراد وتحسن الفائدة بإقامة المجتمعات المهذبة التي تحمل بين جنباتها القيم الفاضلة التي تستقي أصولها من القرآن الكريم ومن سنة نبيه (صلى الله علية وسلم) ومن ألسنة الحكماء أصحاب التجارب الإنسانية .

لكي نصل إلى دلالة أغراض الحكمة عند الإمام الشافعي لابد أن نربط بين الدراسة اللغوية والأدبية حتى نستخلص الأغراض والقيم الأخلاقية وهذا عين ما وجدناه عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز والذي معناه (أن الانفصال بين الدراسة اللغوية والأدبية انفصال يجني على كلتيهما فإذا بلغت الدراسة اللغوية نضجها مالت إلى الأدب وإذا أريد لدراسة الأدب أن تخلو من الكلمات المبهمة والعبارات المرسلة والانطباعات الشخصية والخيال الواسع فلابد من أن تقيم بناءها على أساس من درس اللغة) [٣٥]

وهكذا تنطلق الحكمة بين جزالة اللفظ وسلاسته ووضوح المعنى ودلالته (فعلم الدلالة مفهوم عام يختص بالمعني) [٣٦]، ومن اللفظ والمعنى نستخلص الأغراض والقيم والأدب ... وصياغة العبارة في الحكمة تستوجب العناية باللفظ وتحسينه ... حتى يظهر المعنى جليا وواضحا فالعرب كانت تعني بهذا الجانب عناية فائقة لتوصيل المعنى يقول ابن جني عن عناية العرب بذلك فأول «ذلك عنايتها بألفاظها لما كانت عنوان معانيها وطريقا لإظهار أغراضها ومراميها ، فأصلحوها ورتبوها وبالغوا في تحبيرها ليكون ذلك أوقع لها وأذهب بها في الدلالة على القصيدة إلا ترى أن المثل إذا كان مسجوعا لذ لسامعه فحفظه فإذا هو حفظه كان جديرا باستعماله» [٣٧]

والذي يصدق على المثل يصدق على الحكمة فمثل ما يتمثلون بالمثل يتمثلون بالحكمة ، فهي ألصق من المثل وأوثق لأنها أكثر علوقاً بالنفس

---

٣٥ مصطفى ناصف / اللغة البلاغة والأسلوب / ص ٢٥ ١٩٨٩م
٣٦ فرانك / علم الدلالة – ترجمة / خالد محمود / ص ٣٢
٣٧ أب حنين – أبو الفتح عثمان / الخصائص / ج١/- ص ٢١٦-٢١٧

لأن فيها المواساة والمثل للاستشهاد والتحقق ، ألا تراهم يقولون إن الطبيعة تغلب على التطبع وربما أخذه المتنبي من هذا المفهوم السابق وقال في شطر من بيت «وتأتي الطباع على الناقل» (٣٨)

هنا جاء المثل لتأكيد مسألة من المسائل المعروفة ، فالمثل دائما ما يرد في الأقوال لا الأفعال أما الحكمة فهي عامة في الأقوال والأفعال وعمادها إصابة المعنى.

كأن يورده القائل زاجراً أو معتبطاً أو مشمئزا من شيء أثر فيه أو متحسرا على شيء فاته أو فعله وعلى هذا يمكن لنا أن نأخذ بالألفاظ والمعاني كطرفين يلتقيان بأحكام لنأخذ من بينهما أغراض الحكمة – يقول الإمام الشافعي :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصي

فالغرض الذي نستخلصه من بين البيتين تقوى الله – سبحانه وتعالى – التي تُقوِّي عزائم الفرد لتحصيل العلم فنور العلم لا يسطع في صاحبه إلا إذا ترك المعاصي والملاهي والشهوات فنتبين من هذين روح الحوار بين التلميذ وأستاذه في كيفية تحصيل العلم بلفظ بسيط تمثل في بنية الماضي (شكوت) فكانت الإجابة من التلميذ نفسه بقوله (فأخبرني) والإخبار بأن نور العلم يكون بالاستقامة وبكل مما تحمله هذه الكلمة من ظلال ولقد أخذ الشافعي هذه الحكمة من قوله تعالى : {وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }(٣٩)

وفي نص آخر يقول الشافعي :

يخاطبني السفيه بكل قبح فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة وأزيد حلما كعود زاده الإحراق طيبا
إذا نطق السفيه فلا تجبه فخير من إجابته السكوت
فإن كلمته فرجت عنه وإن خليته كمدا يموت

٣٨ المتنبي – أبو الطيب شرح العكبري / ج١/ ص٢٢
٣٩ البقرة ج٣ الآية ٢٨٢

فالأبيات تدور كلها في السماحة وحسن الخلق كنحو ما نرى عند احمد شوقي :

ولا المصائب إذ يرمى الرجال بها بقاتلات إذا الأخلاق لم تصب

فالأخلاق هي ذروة الإنسانية في تعاملاتها والحكمة هنا في أن السفيه إذا أصابك بسهامه الطائشة فلا رادع لهذا إلا السماحة والخلق القويم . فجاءت القوالب اللغوية سهلة الألفاظ عذبة المعاني . في العلاقة بين المفردات (السفيه سفاهة) (مجيب تجبه إجابته) وكذلك التشبيه في مغالبة الأذى .. وبين ذلك العود الذي تشتم منه الطيب كلما زاد احتراقا .. فأي سماحة من بعد ذلك أو أي تحمل للأذى ! ذلك الذي يؤذي ويحسن ، قال تعالى : {وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ }(٤٠)

ويخبرنا الشافعي عن شروط تحصيل العلم في بيتين شهيرين :

أخي لن تنال العلم إلا بسته سأنبئك عن تفصيلها ببيان
ذكاءٌ وحرصٌ واجتهادٌ وبلغةٌ وصحبةُ أستاذٍ وطولُ زمانِ

فشرف المعنى هنا في خطابه بلفظ «أخي» فيا له من مدخل استهلالي طيب للنصح والتوجيه والإرشاد فحرف العطف (الواو) يمثل رابطا مهما بين هذه الألفاظ فالذكاء عنصر مهم جدا في تحصيل العلم لذا كان ترتيبه أولا ، ومن بعد ذلك الحرص فالحرص ليس مطلوبا إلا في العلم ، وهذا ما يقودنا إلى الشرط الثالث وهو الاجتهاد في العلم مطلوب جدا ، والبلغة ما يتبلغ به من العيش (٤١)

أي من شروط العلم أن يبلغك العيش الكريم ، والعلم لا يأتي إلا بصحبة الأستاذ ومصاحبة الأستاذ تعني صحبة العلم التي تكون بصحبة الكتب .

يقول أبو الطيب المتنبي :

أعز مكان في الدنا سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب

٤٠ الرعد الآية ٢٢
٤١ الرازي / مختار الصحاح باب الباء ضل اللام

وآخر شروط تحصيل العلم في ختام الشطر الأخير من البيت (طول زمان) فالعلم الحقيقي هو الذي يمكث فيه صاحبه بين الكتب يفتتحها ويختتمها متدبرا لها مدركا لما في بطونها متذوقا ومتمثلا بها وهذا ما لخصه الشافعي في هذه الأبيات الواضحة :

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي — من وصل غانية وطيب عناق
وصرير أقلامي على صفحاتها — أحلى من الدوكاء والعشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفها — نقري لألغي الرمل عن أوراقي
وتمايلي طربا لحل عويصة — في الدرس أشهى من مدامة ساق
وأبيت سهران الدجى وتبيته — نوما وتبغى بعد ذاك لحاقي

وبهذه الأبيات نختم غرضا من الأغراض المهمة في حكمة الإمام الشافعي عن تحصيل العلم وهذا يدل على تلك النفس التي صقلت بالتجربة والعلم واللغة والأدب فكانت الحكمة البليغة المعبرة وأسلوب الشافعي في حكمته هو أسلوب (السهل الممتنع) الذي ينظر إليه القارئ ويتخيل إليه أنه يصوغ مثله ولكنه في الواقع لا يدركه ومن أغراض حكمته البديعة أدب التناظر فكانت الألفاظ مرسلة ومختارة ومناسبة وكانت المعاني على قدرها وهذا ما يتضح في قوله :

فَنَاظِرْ مَنْ تُنَاظِرْ فِي سُكُونٍ — حَلِيْماً لا تَلَحُ ولا تُكَابِر
يَفْدِيكَ ما ستفَاد بلَا افتتانٍ — من اَلنُكَت اللَطيفة والنَوادِر
وإيَّاكَ اللَّجُوج ومِن يُرائِي — بَأنِي قَدْ غَلبَتَ ومَنْ يُفاخِر

والقناعة التي يصوغها لنا الشافعي في هذه الأبيات هي القناعة المصاحبة بالزهد في أرقى معانيه

رأيتُ القناعةُ رأسُ الغنيِ — فَصرْتُ بأذيالِها مُتمَسِكُ
فَلا ذا يَراني على بابَهِ — ولَا ذا يراني بِه منهمَكُ
فَصْرتُ غَنِيا بلا درهِم — أمرُّ علي الناسَ شبْه المَلِكُ

ففصاحة الشافعي مع بلاغته تعبر عن رؤيته وتفصح عن معانيه وتلبس الحسي بالمعنوي والمعنوي بالحسي فالقناعة شيء معنوي فألبسها ثوب الحسي وصارت تمشي على أقدام ولها رأس يتمثل في غنى النفس ولها ذيل هو التواضع ورأسها كذيلها لأنها هي القناعة تمشي بين الناس فذكر أن القناعة هي رأس الغنى وعني بذلك غني النفس ولأنه ما كان من الذين يحبون المال صار بأذيالها يتمسك ... والملاحظ في هذه الأبيات أن الإمام الشافعي يخاطب نفسه – وهذا يتضح من ألفاظه (صرت متمسك – يراني – مُنْهَمِك – أمرُ) وهكذا العلماء حينما يردون هذه الموارد – يكون الزهد ويكونَ التواضع الطبيعي والذي نستشفه ماثلا في ثنايا الأبيات .

أما عن ذات الشق المتمم لسابقه (الاعتماد على النفس فيخاطب فيه الشافعي غيره – وهكذا حكمة الشافعي تمتلئ بروح الحوار والخطاب – فها هو يقول :

مَا حَكَ جِلْدُك مثْل ظُفْرِكَ فَتَوَلّ أنْتَ جَميعُ أَمْرِك
وإذا قَصَدتَ لحاجةٍ فاقْصُد لمعْتَرِفَ بقدْرَك

خطاب الشافعي في هذين البيتين خطاب رقيق وتوجيه سلس انظر إلى ألفاظه المسترسلة (ما حك جلدك – فتول أنت – وإذا قصدت) كل هذه الألفاظ مليئة بقيمة الاعتماد على النفس فالإنسان في حك جلده أدرى من غيره بمواطن الألم وقيمة الألم نفسها ... فيدرك المكان ويضغط ويحك بدرجات على الآلام ويدركها تمام التمام ... أما لفظ (تول) فالبنية فيها زيادة والزيادة في المبنى تقود إلى الزيادة في المعنى وكلمة (تول) تستوعب الإحاطة والشمول والمعرفة ببواطن ودقائق الأمور أما لفظ (قصدت) فتوجه الإنسان إلى أي مكان ، هذا شيء يعينه في المقام ويستوجب الخصوصية ... وخصوصية الشيء لا تحتمل مداخلة العام ... وهذا هو الاعتماد على النفس مَخْبَراً وجَوْهَراً .

ومن أغراض الحكمة عنده كذلك توقير الرجال واحترام أقدار الناس وإنزال الناس منازلهم وإكرام أهل الفضل ولنا في رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أسوة حسنة فكان ينزل الناس منازلهم وكان يكرم أهل الفضل

- وها هو الشافعي "رحمه الله" يصوغ ذلك شعرا :

ومَنْ هَابَ الرِّجَالَ تَهَيَبُوه ... وَمنْ حَقرَ الرِّجالَ فلنْ يُهَابَا
وَمنْ قضتِ الرِّجَالُ لهُ حُقُوقاً ... ومَنْ يَعْصِ الرَّجالَ فما أَصَابَا

والحكمة هنا تظهر واضحة ... في تكرار كلمة (الرجال) التي جاءت مسحا في البيتين وفي أشطارهما الأربعة .. فهذه الكلمة تحمل كل (العنفوان) .. ولا تحتمل الهوان والاحتقار بل هي مناط الشجاعة والمروءة والإباء .. ولقد ورد ذكرها في القرآن الكريم سورة الأحزاب : {مِنَ الْمُؤْمنينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْه فَمنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً }[٤٢] ... فكلمة رجال معنية بالصدق وبالوفاء بالعهد وجلائل الأمور ..

ومن البيتين يتضح غرض الحكمة والذي يعني احترام الإنسان لأخيه الإنسان ، ومن أغراض حكمته كذلك أدب النصح وكتمان السر ومحبة الصالحين ولقد جاءت واضحة وبأسلوبه الرائع في مخاطبته لنفسه ومن ثم يندرج ذلك في خطاب الجماعة بطريق غير مباشر فتكون الرمية من غير الرامي انظر في آداب النصح وفي هذه الأبيات :

تغمدني بنصحك في انفرادي ... وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع ... من التوبيخ لا أرضى استماعه
وإن خالفتني وعصيت أمري ... فلا تجزع إذا لم تعط طاعة

فها هو الشافعي فكأنما يتوقف صاحبه ليحاوره ليقدم له درر المعاني وحسن البيان أما في حديثه عن كتمان السر فيرسل حكمته عامة يأخذها من يأخذ .. فلنقف عند هذين البيتين :

إذا المرء أفشى سره بلسانه ... ولام عليه غيره فهو أحمقُ
إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ... فصدر الذي يستودع السر أضيقُ

---

٤٢ سورة الأحزاب ج٢١ / الآية ٢٣

وهكذا جاءت ألفاظه تغلب عليها أبنية الماضي – (أفشى – لام – ضاق) والتي من خلالها دلالة الحكمة .. ففي بيته أفشى .. والتي تعني انتشار السر ... وهذا الانتشار يمثله لنا صوت (الشين) ... الذي دلالته التفشي والذي معناه الانتشار وهذا الباب واسع في اللغة عند أبي الفتح عثمان ابن جني في كتابه الخصائص سماه باب (إمساس الألفاظ لأشباه المعاني) . وهي أن تأتي الأصوات على سمت الأحداث [٤٣]

علم الدلالة يعرفه بعضهم بأنه دلالة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى[٤٤] .

مما لاشك فيه أن القدماء من علمائنا كانت لهم عنايتهم بالألفاظ فقام بعضهم بتأليف المجموعات اللغوية على أساس وحدة المعنى أو الموضوع كما هو الأمر في كتب الخيل والإبل والشجر والدارات وقام بعضهم بوضع المعاجم التي تهتم بالألفاظ في وحدة المعنى كما فعل ابن سيده [٤٥] .

ولعلمائنا المتقدمين محاولات ناجحة كما فعل (الرازي) في كتابه والذي يبين فيه معاني من الألفاظ من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام الفقهاء ذاكرا معانيها قبل الإسلام وماطرا على دلالتها من تبدل بعد ظهور الإسلام [٤٦] وعلم بنية الكلمة جزء من علم الدلالة أو البحث في علم الصرف عند الصرفيين العرب فهو مثل علم المورفولوجي يهتم بدراسة الكلمات من حيث بنيتها وأشكالها وأقسامها) والتصريف الذي هو واحد من مستويات اللغة والذي بدوره يسهم في تحليل النصوص[٤٧] هو (علم بأصول تعرف به أبنية الكلمة التي ليست بإعراب) ومن هنا كان البحث عن الدلالات وحينما نبحر مع الشافعي في حكمته ذات النبع الصافي والبيان الوافي . وصوت الشين في أفشى .. هنا جاء متناسبا مع الحدث والذي نربط فيه بين المفردة (أفشى) وبين (ضاق) في البيت الثاني حيث يتجسد

---

٤٣ كتاب الخصائص ج٢ ص ٢٣

٤٤ علم الدلالة / احمد مختار عمر / ص١١

٤٥ انظر المخصص – لابن سيدة

٤٦ انظر أبو حاتم احمد بن حمدان / الرازي / الزينة في المصطلحات الإسلامية ص٥٩

٤٧ دور البينة الصرفية في صف الظاهرة النحوية / د/ لطيفة إبراهيم / ص ٤٧

معنى الحكمة من خلال علاقة التضاد بينهما .

أما حكمته .. في حديثه عن محبة الصالحين ، فهذا من قبيل أسلوبه الخاص في تقديم حكمته لسامعيه – فقد استهلها بقوله (أحب) حيث يتضح ضمير التكلم الذي يأخذ من بعد ذلك المنحى العام فضمير المتكلم هنا لسان الجماعة وتوجيه العموم .

فلقد جاءت الألفاظ منتقاه والمعنى فضمير المتكلم هنا لسان الجماعة وتوجيه العموم فلقد جاءت الألفاظ منتقاه والمعنى يبدو جليا وواضحا في هذين البيتين :

أحب الصالحين ولست منهم لعلي أن أنال بهم شفاعة
وأكره من تجارته المعاصي ولو كنا سواء في البضاعةُ

فلقد جمع هنا بين الضدين .. فعلاقة التضاد هنا بين (أحب – وأكره) وكان لها الأثر الواضح في إبانه الدلالة وإظهار غرض الحكمة .

المبحث الثالث

دلالات الحكمة في شعره

ونبحر مع الشافعي في دلالة حكمته والتي يرسلها لمعالجة آفات المجتمع ويمكن أن نجملها في آفات خمس وتتضح من بين هذه المسميات وهي كالآتي :

أولا : آفة الإسراف :

ثلاث هن مهلكة الأنام وداعية الصحيح إلى السقام
دوام مدامة ودوام وطأ وإدخال الطعام على الطعامِ

ولقد جاءت حكمته في هذين البيتين واضحة .. بعد أن عبر بألفاظ فيها شئ من التفصيل والدقة . (دوام مدامة ، ودوام وطأ وإدخال الطعام على الطعام..) فكان تكرار الألفاظ مميزا هنا لتوصيل حقيقته للسامعين . وهذه هي المواطن التي يحسن فيها التكرار .. حينما يكون التحذير من الضرر .. فدوام الخمر مضر لصاحبه وكذا الإقبال على إمتاع النفس من غير ضابط

وتنظيم وهذا أهم الذي عناه بقوله ودوام وطأ فهذا شأنه شأن الآفة الثالثة وهي إدخال الطعام على الطعام .. فالمعدة بيت الداء ... فمثلما ننظم بيت الزوجية ننظم أكل الطعام وكلاهما إذا ما لم ينظم سقام في سقام .

ثانيا : آفة المال :

وأنطقت الدراهم بعد صمت أناسا بعد ما كانت سكوتا
فما عطفوا على أحد بفضل ولا عرفوا لمكرمة ثبوتاً

حدثنا عبد الله الأصبهاني حدثنا أبو نصر قال سمعت أبا عبد الله ابن أخي وهب يقول سمعت الشافعي يقول هذين البيتين السابقين[٤٨] .

ولقد جاءت دلالة الحكمة في هذين البيتين بلسان الجمع ... (الدراهم أناسا – عطفوا – عرفوا) فتارة بالجمع المباشر فدراهم جمع درهم وأناس التي هي مفردها (أنسى) قال تعالى في سورة مريم : {فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً } والجمع غير المباشر المتمثل في الضمير ... والذي جاء في آخر الأبنية الفعلية في عطفوا وعرفوا .. فالمال يكون آفة ونقمة على صاحبه .. في اكتسابه وإنفاقه .. فنعم المال الصالح عند العبد الصالح وعلى هذا المعنى تتضح دلالة الحكمة ... فخير المال ما كان فيه فضل ومكرمة لذوي الحاجات من الفقراء والمساكين والمرضى والمستضعفين .

ثالثا : آفة اللسان :

قالوا سكت وقد خوصمت قلت لهم إن الجواب لباب الشر مفتاحُ
والصمت عن جاهل أو أحمق شرف وفيه أيضا لصون العرض إصلاحُ
أما ترى الأسد تخشى وهي صامتة والكلب يخسى لعمري وهو نبّاحُ

فدلالة الحكمة تتضح هنا ... بعد كشف الداء ووصف الدواء .. فالداء اللسان والدواء الصمت – وقديما قالوا إذا كان الحديث من فضة فالسكوت من ذهب فقد جمع الشافعي هنا بين إحكام الصياغة وإيضاح العبارة .

رابعا آفة مجالسة الأشرار :

٤٨ أبو نعيم عبد الله الأصبهاني / حلية الأولياء ج٩ – ص ١٤٠

إذا لم أجد خلا تقيا فوحدتي ألذ وأشهى من غوي أعاشره
وأجلس وحدي للعبادة آمنا أقر لعيني من جليس أحاذره

وهكذا عاد الشافعي مرة أخرى يحدث نفسه ويخاطبها .. (وأجلس وحدي أقر لعيني) .. وهكذا يصوغ ألفاظ حكمته بثقافته القرآنية ... وهذا يتضح في (خلا تقيا) قال تعالى : {الأَخِلَّاء يَوْمَئذ بَعْضُهُمْ لِبَعْض عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ }(٤٩) وقال تعالى : {وَالَّذينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً}(٥٠) .
فالآفة هنا مجالسة الأشرار والحل هنا بأخف الضررين – فإذا لم نجد الأخيار فالأفضل الوحدة والعزلة ذكرا لله ومحاسبة للنفس .
خامسا آفة شكوى الزمان :

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا
ونهجو ذا الزمان بغير ذنب ولو نطق الزمان لنا هجانا
وليس الذئب يأكل لحم ذئب ويأكل بعضنا بعضا عيانا

فهذه من الآفات القديمة والمعاصرة ، فالإنسان إذا نابته النوائب هرب إلى زمانه وشكاه وفي حقيقة الأمر هذا هروب من الواقع .. ولقد أحسن الشافعي ووفق في ألفاظه هنا حينما كان حديثه بلسان الجمع .. فشكوى الزمان مريرة وكثيرة ، لذا جاءت المفردات متناسبة مع الدلالة . فكأنما الحوار بين الإنسانية جمعاء وبين الزمان .. وهذا يتضح في (نعيب – ونهجو .. وبين لو نطق الزمان .. لنا هجانا .. فالآفة هنا هي شكوى الزمان .. ويكمن الحل .. في معايشة الواقع والرضاء بقضاء الله وقدره – ونختم دلالة الحكمة بتلك الهدايا التي كان يقدمها لنا الشافعي (رحمه الله) وقد حصرنا ذلك في خمس هدايا وهي :
أولاً : رحمة الله :

٤٩ سورة الزخرف – ج٢٥ – الآية ٦٧
٥٠ سورة الفرقان – ج١٨ – آية ٧٤

لا تيأسن من لطف ربك في الحشا في بطن أمك مضغة ووليدا
لو شاء أن تصلى جهنم خالدا ما كان ألهم لبك التوحيدا

فمن نعم الله رحمته على العبد المسلم توحيد الله سبحانه وتعالى ودخوله في امة المسلمين وإلهامه ونيله (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ... ولقد صاغ الشافعي هذه الحكمة في بيتين من أبياته فاستهلها بقوله (لا تيأسن) فكأنما أراد الشافعي أن يذكر الإنسان بداية الأطوار والمراحل التي يمر بها الإنسان .. فيالها من رحمة حينما كان في بطن أمه مضغة ووليدا ولقد ذكر الإمام الشافعي ذلك مفصلا في موطن آخر وهو بين كل هذه الأطوار والمراحل في رحمة الله وهذا ما جاء في أبياته :

ابن عشر من السنين غلام رفعت عن نظيره الأقلامُ
وابن عشرين للصبي والتصابي ليس يثنيه عن هواه مرامُ
والثلاثون قوة وشباب وهيام ولوعة وغرامُ
فإذا زاد بعد ذلك عشرا فكمال وشدة وتمامُ
وابن خمسين فر عنه صباه فيراه كأنه أحلامُ
وابن ستين صيرته الليالي هدفا للمنون وهي سهامُ
وابن سبعين لا تسلني عنه فابن سبعين ما عليه كلامُ
فإذا زاد بعد ذلك عشرا بلغ الغاية التي لا ترامُ
وابن تسعين عاش ما قد كفاه واعترته وساوس وسقامُ
فإذا زاد بعد ذلك عشرا فهو حي كميت والسلامُ

ونختم هذه الميمية بأبياته الواضحة والتي جاءت بإحصاء دقيق وحصيف لعمر الإنسان .

ثانيا : التسليم الخاص :

إذا أصبحت عندي قوت يومي فخلي الهم عني يا سعيدُ
ولا تخطر هموم غد ببالي فإن غدا له رزق جديدُ
أسلم إن أراد الله أمرا فاترك ما أريد لما يريدُ

قال تعالى : {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }[٥١] . فكهذا ثقافة الشافعي القرآنية فشعره وحكمته من سقيا القرآن الكريم فهنا يخاطب الشافعي (نفسه ويحاوره غيره .. وكان في حوار غيره يلمح أما هاهنا ... فلقد أورد اسما صريحا ويرمز بذلك إلى من يرسل إليه حكمته ، موجها ومرشدا (فخلي الهم عني يا سعيد) فجاءت الحكمة واتضحت الدلالة من التسليم الخالص لله فهي قيمة فيها سعادة الإنسان .. وذلك حينما يسلم أمره إليه ويعيش في دنياه مؤمنا وموقنا ومتوكلا على الله .

ثالثا : الوقار وخشية الله

ولولا الشعر بالعلماء يزري ... لكنت اليوم أشعر من لبيدِ
وأشجع في الوغى من كل ليث ... وآل مهلب وبني يزيدِ
ولولا خشية الرحمن ربي ... حسبت الناس كلهم عبيديُ

وهنا لا يرفض الشعر على إطلاقه .. بل عني بذلك الشعر الذي يذهب الوقار .. فهو الذي يزين القبيح ويقبح الحسن .. ولقد تحدثنا عن ذلك في بداية البحث .. ودليلنا على ذلك أنه أورد لنا شعر الحكمة واكتفى بذلك ولم يزد عليه فمثل هذا الشعر هو ذلك الشعر الملتزم والذي لا يجنح فيه الشاعر لهواه ويكتب كل ما يتخليه وإنما ضابطه في ذلك خلقه وأمانته وآدابه السمحة وقيمه الأصيلة فلقد جاءت حكمته واضحة وظاهرة .. فالوقار وخشية الله هما حلية الشاعر وطريقاه .

رابعا : تقوى الله :

يريد المرء أن يعطي مناه ... ويأبى الله إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي ... وتقوى الله أفضل ما استفادا

فأماني الإنسان في الحياة كثيرة ... وقيمة الفوائد ليست في جمع المال ولكن في تقوى الله (عز وجل) فجاءت ألفاظ الشافعي في هذا المقام جزلة بسيطة ومعاينها واضحة ولقد عبرت الحكمة عن قيمة فضلى وهي لمن أم الفوائد على الإطلاق قال تعالى : {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ }[٥٢]

---

٥١ سورة يس ج٢٣ – آية ٨٢
٥٢ سورة النحل ج١٤ / آية ١٢٨

خامسا : فوائد السفر :

تغرب عن الأوطان في طلب العلى وسافر ففي الأسفار خمس فوائدُ
تفرج هم واكتساب معيشةٍ وعلمٌ وآدابٌ وصحبةُ ماجدِ ٍ

ففي هذين البيتين وردت حكمة الشافعي مفصلة .. وذلك أسلوبه في التحديد والإحصاء ... فلقد أحصاها في خمس فوائد .. ولقد استقى حكمته هذه من أسفاره الكثيرة ومنها يتضح أنه كان صاحب تجربة في السفر .. وحقيقة فالسفر فيه تفريج عن الهموم لأن الإنسان يروح عن نفسه وكذلك فيه كسب للمعيشة وسعي في الرزق وبمجرد خروج الإنسان من وطنه إلى بلاد أخرى يكتسب كثيرا من المعارف والآداب ويزداد أصحاب ومعارف وإخاء – وجاءت حكمته هنا بالطلب المتمثل في بنيتي الأمر (تغرّب – وسافِر) .. وتحت ظلال هاتين الكلمتين كانت الفوائد الخمس (تفريج الهم – اكتساب المعيشة – العلم – الأدب – صحبة الأماجد)

الخاتمة :

الحمد لله الذي تتم به الصالحات وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين

أما بعد

فلقد كان هذا البحث موسوما بعنوان الحكمة في شعر الإمام الشافعي أغراضها ودلالاتها – ولقد توصل هذا البحث إلى النتائج التالية :

أولا : لاشك أن أي دراسة نصية شعرية كانت أم نثرية ترتبط ارتباطا مباشرا بالمعنى الذي يبحث عنه الباحثون والقراء والمطلعون وعلى هذا توصل البحث إلى دلالة الحكمة في شعر الإمام الشافعي باستخلاص ذلك في قوالب لغوية سهلة بسيطة قدمت لنا أغراض الحكمة بصورة واضحة من لسان ذلك الفقيه العالم الأديب .

ثانيا : الأصوات عنصر من عناصر الدلالة تسهم بطريق أو بآخر في إبانة المعنى

ثالثا : أبنية الحكمة عند الشافعي تحمل السامع والقارئ حملا إلى المعنى حيث نلتمس روح الحوار ونلتمس زيادة المبنى التي تقود إلى زيادة المعنى .

رابعا : أما عن نظام الجمل لقد كانت التراكيب بسيطة وواضحة وتظهر الجمل والعبارات في سياق يقود إلى المعنى والإفهام .
خامسا : أما الأساليب والبلاغة والبناء الفني فلقد كان الإمام الشافعي في حكمته يلبس الحسي ثوب المعنوي والمعنوي ثوب الحسي والجمال الفني يكاد يكون مسحا شاملا في بناء حكمته التي يضفي عليها سلاسة شعره ووضوح معانيه وسماحة نفسه .
وختاما فلقد ظهرت دلالة الحكمة في شعر الإمام الشافعي جلية وواضحة تظهر دلالتها من بين الأصوات والأبنية والتراكيب والأساليب البلاغية لتصل إلى القارئ والسامع بسهولة ويسر .

المصادر والمراجع :

١- القرآن الكريم .
٢- أحمد مختار عمر / علم الدلالة / جامعة القاهرة ١٩٩٣م .
٣- أنيس – د/ إبراهيم / دلالة الألفاظ / مكتبة الأنجلو ١٩٥٨م .
٤- أبو تمام – شرح الخطيب التبريذي – الديوان بيروت ١٩٦٥م
٥- الجاحظ – أبو عثمان عمر بن بحر – البيان والتبيين بيروت ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م
٦- ابن جني – أبو الفتح عثمان – الخصائص بيروت ١٩٨٣م .
٧- أبو حاتم احمد بن حمدان الرازي – الزينة في المصطلحات الإسلامية ١٩٨٢م
٨- الحسن اليوسي – زهر الأكم في الأمثال والحكم بيروت ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .
٩- الرازي / مختار الصحاح – المعجم بيروت ١٤٠٨ – ١٩٨٨م
١٠- زهير بن أبي سلمى – الديوان ١٤٠٣ – ١٩٨٣م
١١- أبو زيد محمد بن الخطاب – جمهرة أشعار تحقيق خليل فرح ١٩٩٦م
١٢- الشافعي – أبو عبد الله محمد بن إدريس – الديوان جمعه محمد عفيف الزغبي ١٣٩٢هـ – ١٩٦٤م
١٣- شافية ابن الحاجب ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م

١٤- الشوقيات احمد شوقي القاهرة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
١٥- الغزالي - إحياء علوم الدين ١٩٨٦م
١٦- فرانك بالمر / علم الدلالة - ترجمة / خالد محمد جمعة / ١٩٨٧م
١٧- ابن كثير / عماد الدين أبو الفداء إسماعيل / التفسير ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
١٨- د/ لطيفة إبراهيم / دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية - بيروت ١٩٩٢م
١٩- المتنبي أبو الطيب احمد بن الحسين / شرح التبيان العكبري ١٩٧٣م
٢٠- المتنبي - ديوان أبي الطيب / دار النشر / بيروت ١٩٨٥م
٢١- المخصص المعجم لابن سيده بيروت ١٩٨٥م
٢٢- مصطفى ناصف - اللغة بين البلاغة والأسلوبية بيروت ١٩٠٤هـ ١٩٨٩م
٢٣- أبو نعيم عبد الله الأصفهاني / حلية الأولياء / بيروت ١٩٧٩م
الهاشمي - سيد احمد - جوهر الأدب - القاهرة ١٩٨١م